


اسم المادة: البساطة

من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات

حياة

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: البساطة

من سلسلة: قيم تربوية من السنة النبوية

لفضيلة الشيخ: د. محمد فرحات



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بخيرٍ وإحسان إلى يوم الدين، أما بعد؛

حياكم الله إخواني الأفاضل وأخواتي الفضليات، ومرحبًا بكم ولقاء جديد مع الوقفات التربوية مع السنة النبوية، أبدأ مع حضراتكم بهذا الحديث:

عن سهل بن سعد –رضي الله عنه– قال: "كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ تَجْعَلُ عَلَى أَرْبِعَاءَ فِي مَزْرَعَةٍ لَهَا سِلْقًا، فَكَانَتْ إِذَا كَانَ يَوْمُ جُمُعَةٍ تَنْزِعُ أُصُولَ السِّلْقِ، فَتَجْعَلُهُ فِي قِدْرٍ، ثُمَّ تَجْعَلُ عليه قَبْضَةً مِن شَعِيرٍ تَطْحَنُهَا، فَتَكُونُ أُصُولُ السِّلْقِ عَرْقَهُ، وَكُنَّا نَنْصَرِفُ مِن صَلَاةِ الجُمُعَةِ، فَنُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَرِّبُ ذلكَ الطَّعَامَ إِلَيْنَا، فَنَلْعَقُهُ وَكُنَّا نَتَمَنَّى يَومَ الجُمُعَةِ لِطَعَامِهَا ذلكَ".[1]

الحقيقة هذا الحديث أول مرة خالص أقرأه تعجبت منه، ألفاظ الحديث يمكن فيها بعض الأمور الغريبة شوية زي ما هنوضحها، فلما فهمت معنى الحديث الحقيقة كان ليه موقع عظيم جدًا في قلبي، تعالوا كدا نشوف هذا المشهد اللي بيصور لنا لقطة عابرة من حياة الصحابة –رضي الله عنهم–، فيه امرأة كانت من الأنصار –رضي الله عنهم أجمعين–، هذه المرأة كانت امرأة كبيرة في السن ولها مزرعة صغيرة، هذه المزرعة كان فيها ربيع، الربيع ده يعني الجدول الصغير كدا، وكانت بتزرع على حواف هذا الجدول، بتزرع نبات السلق، احنا لازلنا يمكن في مصر عارفينه اسمه نبات السلق، نبات بسيط كدا ويعني مبياخدش كثير في زراعته.

فكان بتأتي يوم الجمعة تاخد نبات السلق هذا تخرَّجه وتلف معاه شوية شعير وتحطه في حلة كدا وتطبخه، الشعير مع السِلق بس مش أكتر، وكانت تعد هذه الوجبة البسيطة وتحضرها قبل صلاة الجمعة، الصحابة –رضوان الله عليهم– كانوا يصلون الجمعة ويمرون في طريقهم على مزرعة هذه المرأة، فكانت تجهز لهم هذه الوجبة وتتحفهم بها، فيقول هذا الصحابي الجليل كانت هذه الوجبة بالنسبة إلينا أمر عظيم جدًا، حاجة جميلة جدًا.

تخيل! وجبة عبارة عن إيه؟ نبات السلق محطوط معاه شوية شعير، حتى هو نفسه بيقول ليس فيها سمن ولا ودق، مفيش فيها أي حاجة خالص، شعير ونبات السلق ده وشوية مية وخلاص وانتهت القصة، لا فيه لحم ولا شحم ولا في أي حاجة خالص، يعني هي نبات السِلق ده نفسه كان هو يعتبر العَرق؛ العَرق ده اللي هو قِطَع اللحم اللي بتبقى موجودة على حواف العظم، يعني بيعتبروا إن دي هي اللحم بتاعهم، بيقول: "وَكُنَّا نَتَمَنَّى يَومَ الجُمُعَةِ لِطَعَامِهَا ذلكَ"، أنا عايزك تتخيل هذه الوجبة البسيطة كيف كان موقعها في قلوبهم، سبحان الله العظيم، يعني وجبة في منتهى البساطة خالص، يعني مفيش فيها أي شيء من الذي يتلذذ بها الإنسان، مفيش حاجة مبهرة يعني، وجبة بسيطة بإمكانيات بسيطة جدًا لكن بالنسبة إليهم كانت هذه الوجبة البسيطة أمر عظيم جدًا، أمر عظيم للدرجة إن هما يفرحوا بها أيما فرح، بل ويتمنوا إن يوم الجمعة يأتي لفرحهم بهذه الوجبة البسيطة، شوف البساطة، يعني لما واحد

[1] صحيح البخاري

يصل به الحال إن الوجبة البسيطة جدًا دي تبقى أمنيته في الحياة، طب يا ترى هو حياته عاملة ازاي أصلًا لما يبقى ده سقف طموحه؟ لما واحد سقف طموحه وجبة اللي احنا بنسميها عندنا في الدارجة بتاعتنا وجبة اورديحي، مفيش فيها حاجة من مظاهر الفخامة، مفيش فيها حاجة في قمة اللذاذة والطعامة، مفيش حاجة خالص منتهى البساطة، يعني ده واحد وصل بيه الحال إن حياته العادية هو معتاد في حياته على ما هو أقل من ذلك بل ممكن تتخيل إنه معندوش أصلًا، يعني اللي يصل فرحه الشديد بهذه الوجبة البسيطة ده معناه إن هو لا يكاد يكون لديه قوت يومه أصلًا!

سبحان الله العظيم، اللقطة دي لابد أن نتوقف أمامها ونُركِّز عليها، وهذا أيضًا يعني ما لفت أنظار العلماء والشراح حتى قال بعضهم زي الإمام بدر الدين العيني –رحمة الله عليه– قال: "وفيه قناعة الصحابة وشدة العيش وعدم حرصهم على الدنيا ولذَّاتِها" القضية مش مجرد بس كان يعني موقف عابر احنا بنتكلم على منهج حياة، بنتكلم على ما كان عليهم عيشهم، وما أَلِفُوه، وما اعتَادُوه، وكيف كانت حياتهم على هذه البساطة ورغم ذلك كانت في منتهى الهناء والسعادة.

يقول الإمام ابن بطال –رحمة الله عليه– معلقًا على هذا الأثر: "فيه ما كان السلف عليه من الاقتصار في مطعمهم وتقللهم واقتصارهم على الدون من ذلك" ما هو نفس اللي كنا لسه بنقوله، يعني إذا كان فرحهم بهذه الوجبة البسيطة يبقى هم كانوا مقتصرين على ما هو أقل من هذا، قال: "ألا ترى حرصهم على السِلق والشعير، وهذا يدل على أنهم كانوا لا يأكلون ذلك في كل وقت، ولم تكن همتهم اتبّاعَ شهواتهم وإنما كانت همتهم من القوت فيما يُبلِّغهم المحل، ويدفع سورة الجوع بما يمكن، فمن كان حريصًا أن يكون في الآخرة مع صالح سلفِه فليسلك سبيلهم وليجري على طريقتهم وليقتدي بهديهم"

نفس الفكرة اللي احنا بنركز عليها، احنا ليه بنحكي الكلام ده؟ ليه بنقوله؟ هو أكيد طبعًا يعني زيادة محبتنا لهؤلاء الصالحين وزيادة معرفتنا بيهم ده أمر عظيم، لكن الأهم هو كيفية اقتفاء آثار هؤلاء السلف الصالح، ازاي إن احنا نستفيد من منهجيتهم وازاي إن احنا نعيش عليها، النقطة المنهجية عندنا: أن هؤلاء القوم ما كانت الدنيا تشغلهم، فكانوا يكتفون منها بالقليل وما رزقهم الله منها كانوا يقنعون به بل ويفرحون به، أقل القليل كان هو سبب سعادتهم؛ لأجل هذا كانت حياتهم في هناء، لم يكن لديهم ما ينغص عيشَهم في أمور الدنيا ذاتها، كانت همومهم متعلقة بما هو أكبر من هذا، كان همهم هو همُّ الآخرة ولأجل هذا عاشوا على مثل هذا النهج الصافي، لم يعكر صفوهم مثل ما يعكر صفو حياتنا الآن، يعني أنت لو سألت أي إنسان إيه اللي بيشغلك؟ إيه هي همومك؟ إيه هي الأشياء اللي بتحس معاها إن أنت في ضيق وكرب؟ الغالبية العظمى سيذكر لك أن ما يشغله ويحتل الصدارة في أولوياته وهمومه هي ما عليه من التزامات مادية وما عليه من أعباء دنيوية، طب يا ترى هل فعلًا نحن في حال من الضيق الحقيقي أو نحن في حال من الكرب الدنيوي الحقيقي؟ الحقيقة لأ، هي أمور نسبية، هي غاية ما في الأمر إن احنا ألفنا وضع معين وألفنا نوع معين من الحياة، زادت تطلعاتنا مع وجود شيء من قلة شوية في دخلِنا، فالمقارنة بما بين أيدينا وبين الطموحات بتبص تلاقي دايمًا أنت عايش في ضغط القِلَّة، وضغط إن أنت شيء ناقصك، مع إن فعلاً أنت ممكن يكون ما لديك الكثير والكثير.

هؤلاء لما عاشوا على هذه البساطة مكانش بيشغلهم كثيرًا أمر الدنيا، بل ولا يعني لم يكن حتى ليهم تطلعات في أمور الدنيا؛ يعني من الآثار برضه اللي الحقيقة استوقفتني وتعجبت لها جدًا هذا الحديث –هو إن كان فيه ضعف– بس يعني بيروي برضه طرف من الحياة اللي أنا بكلمكم عليها؛ حياة البساطة التي كان عليها هؤلاء الصحابة –رضوان الله عليهم–، قَالَ خُرَيْمُ بْنُ أَوْسٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، يَقُولُ: "هَذِهِ الْحِيرَةُ، الْبَيْضَاءُ قَدْ رُفِعَتْ لِي، وَهَذِهِ الشَّيْمَاءُ بِنْتُ بُقَيْلَةَ الأَزْدِيَّةُ عَلَى بَغْلَةٍ شَهْبَاءَ مُعْتَجِرَةٌ بِخِمَارٍ أَسْوَدَ"، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنْ نَحْنُ دَخَلْنَا الْحِيرَةَ وَوَجَدْتُهَا عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَهِيَ لِي؟ قَالَ: "هِيَ لَكَ" يعني هنا النبي





–صلى الله عليه وسلم– أخبرهم بما سيكون بعد ذلك أنهم سيفتحون هذه المدينة، أو سيكون لهم شأن مع هذه المدينة اللي هي مدينة الحيرة وهي كانت في الشمال، وقال يعني أن هذه المرأة وهي أخت ملك الحيرة سوف تخرج من هذا الحصن على هذه الصفة؛ يعني معتجرة بخمار وخارجة على بغلة ونحو هذا، فهذا الصحابي قال لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– يا رسول الله لو حضرت أنا المشهد ده اجعل لي هذه السيدة؛ يعني تكون في أسري أنا، فقال: "هِيَ لَكَ"، قال: "ثُمَّ سِرْنَا –مع خالد إلى مسيلمة– عَلَى طَرِيقِ الطَّفِّ حَتَّى دَخَلْنَا الْحِيرَةَ، فَكَانَ أَوَّلَ مِنْ تَلَقَّانَا فِيهَا شَيْمَاءُ بِنْتُ بُقَيْلَةَ الأَزْدِيَّةُ عَلَى بَغْلَةٍ لَهَا شَهْبَاءَ بِخِمَارٍ أَسْوَدَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–" يعني اللي أخبرهم به النبي –صلى الله عليه وسلم– حدث بالفعل، فقال: "فَتَعَلَّقْتُ بِهَا، وَقُلْتُ: هَذِهِ وَهَبَهَا لِي رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَدَعَانِي خَالِدٌ عَلَيْهَا الْبَيِّنَةَ فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَسَلَّمَهَا إِلَيَّ"كانوا هنا لازالوا في مرحلة الحصار يعني لم يحدث قتال ولم يحدث اقتحام للمدينة، يعني هذه المرأة خافت فهربت فوقعت في الأسر فقال هي لي هي في أسري؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– وهبها لي، وبالفعل خلاص صارت في أسرِه، قال: "وَنَزَلَ إِلَيْنَا أَخُوهَا عَبْدُ الْمَسِيحِ، فَقَالَ لِي: بِعْنِيهَا، فَقُلْتُ: لا أَنْقُصُهَا وَاللَّهِ مِنْ عَشْرِ مِائَةٍ شَيْئًا، فَدَفَعَ إِلَيَّ أَلْفَ دِرْهَمٍ" أخوها صالحهم وجه طلب إن هو يرد أخته اللي أُسِرت فقالوا له هي مع فلان قاله خلاص أنا هفديها هدفع فيها فدية، فقال له والله لا أرضى فيها أقل من عشر مائة، لاحظ الرقم عشر مائة درهم، فالرجل دفع له ألف درهم خلاص مش أنت عايز عشر مائة يعني عشر ميات يعني ألف، بعد ما خد منه الدراهم فاللي حواليه عاتبوه؛ يا راجل ملك من الملوك جاي يقولك هدفعلك فدية تقوله أطلب عشر مائة! أخرك تطلب منه ألف! يعني المفروض تطلب أكتر من كدا، شوف بقى رده عليهم قال: "مَا أَحْسِبُ أَنَّ مَالا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ مِائَةٍ"[٢]هو فيه مال أكتر من ألف؟ يعني فيه رقم أكتر من ألف أصلًا؟ سبحان الله العظيم شوف البساطة، شوف هذه الحياة اللي في منتهى يعني الصفاء، راجل معندوش أصلًا تخيُّل ولا أفق حتى إن فيه في الأرقام أو في الأموال شيء أكتر من ألف، يعني بالنسباله رقم ألف ده كتير جدًا.

لما تيجي تشوف هذه العقليات اللي عاشت مع الحياة بهذا الصفاء وهذه البساطة تجد فعلًا إن كثير مما يزعجنا في الحياة هو عكس ما كانوا هم عليه، مش القضية قضية احنا في ايدينا إيه هي القضية الحقيقية احنا في قلوبنا إيه، أو في عقولنا إيه، القضية الحقيقية مش فيما يُفتح لنا من الدنيا، القضية الحقيقة في نظرتنا احنا للدنيا، في قناعتنا احنا بما بين أيدينا، في نظرتنا لِمَا يكون معنا وما نتطلع فيه فيما هو ليس بين أيدينا هو دا لب المشكلة، لب المشكلة إن هم عاشوا على بساطة وفطرية، ولب المشكلة بالنسبة لنا إن احنا على عكس ذلك حياتنا معقدة جدًا وليس فيها هذا النمط الهادئ من البساطة والتعامل مع الحياة بهذه الأريحية.

هؤلاء الصَحب الكرام عاشوا على هذا وظلوا حتى على هذا لما فُتحت لهم الدنيا، يعني قد يقول قائل في نفسه اه هم كانوا على البساطة دي بس المشكلة إن هم مكنش في ايديهم دنيا أصلًا وبناء عليه فهمّا مكنوش يعرفوا، زي الصحابي اللي احنا كنا بنتكلم عليه ده هو مكنش يعرف هو ده آخره، هو مش دي القضية بس، هي القضية إن هم كانوا ذهنهم مشغول بما هو أهم، قلوبهم متعلقة بما هو أكبر؛ لأجل هذا هانت في أعينهم الدنيا، صغُرَت في أعينهم، حتى لما أتتهم الدنيا كانوا هم في إعراض عنها.

قال الحافظ ابن حجر –رضي الله عنه–: "وفي الحديث ما كان السلف عليه من الاقتصاد والصبر على قلة الشيء إلى أن فتح الله –تعالى– لهم الفتوح العظيمة فمنهم من تبسط في المباحات منها، ومنهم من اقتصر على الدون مع القدرة زهدًا وورعًا" يعني لما فُتحت لهم الفتوحات فيه منهم آه من توسع قليلًا في المباحات، وفي منهم من بقي على حاله وأصر على أن يكون هذا هو منواله؛

[٢] المعجم الكبير للطبراني




التبسط الشديد، الزهد الرهيب في أمور الدنيا وهو قادر عليها، بل العجيب إن هما كان في تعاملهم مع ملف فتح الدنيا عليهم على عكسنا تمامًا، يعني احنا بنظن في أنفسنا إن احنا مثلًا والله ربنا مش راضي عنا عشان الدنيا مش معانا، رزقي مش كبير يبقى أكيد أنا مش كويس، فهو احنا دايمًا حاطين في ذهننا إن فتح الدنيا ده هو كله خير، والحرمان من الدنيا أهو ده محض شر فعشان كدة تبص تلاقي نفسياتنا فيها كثير من الضيق والهم والحزن، هما بقى كانوا على العكس؛ هم لما فتحت لهم الدنيا أصابهم الهم والغم.

يعني شوف المشهد ده في عهد سيدنا عمر –رضي الله عنه وأرضاه– ازدادت الفتوحات، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وازدادت الفتوحات ومعها طبعًا زادت الغنائم، وزاد المال الذي أتى إلى بيت المال، سيدنا عمر –رضي الله عنه– لما رأي هذه الأموال وهي تنهال عليه فزع وبكى بكاءً شديدًا وأخذ يقول: "والذي بعث محمدًا بالحق ما حبس هذا عن نبيه –صلى الله عليه وسلم– وعن أبي بكر إرادة الشر لهما، وأعطاه عمر إرادة الخير به" كل اللي كان همه إن هذا الفتح الدنيوي لم يحدث بهذا القدر في عهد النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولم يحدث في عهد سيدنا أبو بكر، طب طالما فتح عليا أنا يبقى طالما مكنش في زمانهم وجالي هذا أمر شر فكان يحزن منه أيما حزن، يعني يخاف من فتح أبواب الدنيا عليه، طبعًا يعني الوقفة أصلًا مع منهجية سيدنا عمر في حد ذاتها مع تعامله في هذه الفتوحات ده هيبقالنا فيها وقفة مستقلة، ده نموذج لوحده متفرِّد في الحرص على إغلاق هذه المنافذ على قلبه حتى يستقيم حاله، بس أنا هقولك نموذج آخر أيضًا من الصحابة وازاي إن هم تعاملوا أيضًا مع مسألة يعني فتح الدنيا عليهم، وازاي إن كان الفتح الدنيوي دا بالنسبة له كان أمر مقلق.

شوف برضه معايا المشهد ده: "عن طلحة بن عبيد الله أنه آتاه مال من حضرموت سبع مائة ألف درهم" لاحظ كام ٧٠٠ ألف درهم تقريبًا مليون درهم، المليون درهم ده جاءه في صبيحة النهار تمام، قال: "فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: ما لك؟ قال: تفكرت منذ الليلة فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته؟" مجالوش نوم، مجالوش نوم ليه؟ بيقول يعني أنا ازاي هنام وهذا المال في بيتي، ازاي أنا يجيلي نوم، ازاي هيكون موقفي بين يدي الله –سبحانه تعالى– وأنا نايم وفي بيتي هذا المال؟ يعني همه إن هو هيُسأل عن هذا المال العظيم، همه ازاي إن أنا في بيتي كل هذا المال، يعني هو مش همه مثلًا يا ترى أنا هعمل بيها مشاريع أد إيه، طب يا ترى أنا هستثمرها في ايه، طب ٧٠٠ ألف دول ممكن يجيبولي كام لو عملت كذا، ولو دخلت في تجارة هيعملولي كذا، يعني هو مش همه في ما يتصرف فيه بالنماء وخوفه على إن هو ثروته تقل، يعني هو شيء طبيعي لأي بني آدم لما بتجيله فلوس بيبدأ نفسيته تتعامل مع الواقع الجديد، يبدأ هو انتقل نقلة طبيعية من الحال الذي كان عليه، انتقل نقلة اجتماعية فبدأ يحسب بقى حسابات تانية، بعد ما كنت أنا بعمل كذا كذا كذا لا معادش ينفع بقى مع الوضعية الجديدة، لا عاد ينفع الأكل اللي أنا باكله، ولا اللبس اللي أنا بلبسه، والخروجات اللي بخرجها والكلام ده كله، لا احنا هننتقل لوضعية جديدة تتناسب مع المال، فكرة برضه إن هذا المال طب مهو ممكن يضيع، ممكن يتسرق فأنا عايز أحفظ هذا المال، فكرة بعد كدة برضه متطلبات المال ده عليا أنا خلاص معدتش زي زمان أنا دلوقت راجل بقيت ليا وضعية اجتماعية معينة فازاي إن أنا هتعامل بناء على الوضعية الجديدة، المال لما بيأتي زي ما بيحل مشاكل بيحط مشاكل تانية، فالإنسان رغم إنه هو ارتاح في جزئيات لكن بيتفتح عليه باب هم في جزئيات تانية، جزئيات متعلقه بايه برضه؟ متعلقه بنفس المال.

هذا الصحابي الجليل مكنش همه كدة خالص، بيقول ازاي هقابل ربنا وأنا في بيتي كل الفلوس دي؟ ازاي! طيب أنا عايزك تتخيل هذا الرجل يقول هذا الكلام لزوجته، يعني واحد داخل على زوجته أو قاعد مع زوجته في هم وكرب علشان جاله فلوس، مش

علشان معندوش فلوس، جاله فلوس فبيشتكي لزوجته إن أنا معايا فلوس كتير وده حاجة قلقاني، يا ترى وقع الكلام ده ايه على زوجته؟ أنا عايزك تتخيل الموقف ده لو واحد فينا عمله دلوقت في حياته يعني جاي يشتكي لزوجته والله أنا مضايق، ليه؟ جالي مليون جنية الصراحة مضايق يعني، لك أن تتخيل رد فعل زوجته هيكون ايه، يعني هي ردها ترد عليه تقوله إيه؟ تعالى بقى شوف برضه هذا الموقف ده مش مجرد بس الزوج كان عقليته كدا تعالى بقى شوف عقلية الزوجة عاملة ازاي؛ "قالت له: فأين أنت عن بعض أخلائك؟ فإذا أصبحت، فادع بجفان وقصاع فقسِّمهم" يعني بتقوله أنت شايل الهم ليه؟ عندك أقاربك، وعندك أصدقائك، وإخوانك في الله فبمنتهى البساطة اصحى الصبح كدا وهات الفلوس اللي عندك دي وقسِّمها وزعها، كدا؟ اه كدا وزعها خلاص، فماذا قال لها؟ "فقال لها: رحمك الله، إنك موفقة بنت موفق" هي مين بقى الموفقة بنت الموفق؟ "وهي أم كلثوم بنت –أبي بكر– الصديق" فشيء طبيعي دي بنت سيدنا أبو بكر، تربت في هذا البيت الإيماني العظيم، تربت في كنف هذا الجبل الإيماني العالي، تربت عند هذا النموذج الإيماني الذي أخرج ماله أكثر من مرة كما قال أهل السير أن أبا بكر خرج من ماله أكثر من مرة لله –سبحانه وتعالى–، فطبيعي جدًا اللي تربت على هذا؛ المال لم يعد في قلبها أصلًا، هي شافت أبوها وهو بيخرَّج ماله لله فشيء طبيعي بتصدَّر هذه المنهجية في بيتها، فبتقول لزوجها طب وأنت زعلان ليه؟ خرَّج المال لله في منتهى البساطة، مش المال مضايقك؟ تعالى نتصدق بيه، "فلما أصبح دعا بجفان، فقسمها بين المهاجرين والأنصار" صحي الصبح جاب كدا كام قصعة كدا وبقى يحط الفلوس ويوزع، يحط الفلوس ويوزع، بعد موزع "فقالت له زوجته: أبا محمد، أما كان لنا في هذا المال من نصيب؟" أنت مافتكرتناش كدة بشوية من المال ده؟ فقال لها –سبحان الله–: "قال: فأين كنت منذ اليوم؟" مقولتليش ليه؟ مفكرتينيش ليه؟ يعني هو نسي أصلًا إن هو يحط فلوس في بيته "فشأنك بما بقي، قالت: فكانت صرة فيها نحو ألف درهم" يعني من ٧٠٠ ألف درهم لم يتبقى في بيته إلا ألف بس يلا كدا نمشي حالنا.

سبحان الله العظيم يعني يا إخواننا الموضوع، زي ما قولتلكم إن مش قضية إن احنا نقعد نحكي هذه القصص ونتندّر بيها ونحكيها على سبيل اه ما شاء الله شوف الناس كانوا عاملين ازاي، اه دا والله حاجة جميلة جدًا دول ناس يعني حاجة ممتازة، القضية مش كدة، القضية بالنسبة ليهم أن هؤلاء تشربوا هذا المنهج من فهمهم العميق لكتاب الله وسنة النبي –صلى الله عليه وسلم–، هؤلاء تربوا في محضن النبوة، هؤلاء تعلموا هذا ليكون سلوك لهم في الحياة، يبقى دول كان عبارة عن تطبيق عملي لما تشرَّبوه من منهج الشرع مع الحياة، فلأجل هذا لابد أن يكون لدينا أصلًا مثل هذا المفهوم، مفهوم إيه؟ مفهوم التعامل؛ التعامل الإيماني مع الأوضاع الدنيوية، ازاي إن أنا كإنسان المال لا يكون في قلبي المال يكون في يدي، أنت مش مطلوب منك إن أنت متتمتعش بأي حاجة من مباهج الحياة، محدش قالك كدا ولا الشرع نفسه طلب منك كدا، إنما الشرع طلب منك أن يكون هذا المال أداة، وسيلة وليس غاية، أن يكون هذا المال شيء أنت بتتملكه مش هو اللي بيتملكك، شيء تابع ليك مش أنت اللي تابع ليه، وبالتالي عندما تصل لهذه المرحلة هيستوي معك المال قليله وكثيره، هو لا يملكك أنت الذي تملكه، ثم لما يتدرج الإنسان ويصير بعد ذلك في هذه الحالة؛ حالة التملك أنت اللي بتتملك المال تفهم إن هذا المال هو أساسًا وسيلة لماذا؟ وسيلة ليس لمجرد دفع أعباء الدنيا إنما هي وسيلة أعمق، وسيلة أكبر؛ هي وسيلة لطلب مرضاة الله –سبحانه وتعالى–، فعندما يتسلط الإنسان على ماله بالحق بينال المنزلة عند الله –سبحانه وتعالى– كما قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقّ"[٣] ده أعلى مرتبة، الواحد معاه مال فكل همه إنه ينال به رضوان الله –سبحانه وتعالى–، فإذا كان ده المنظور الأسمى إن أنا المال ده عندي لطلب رضوان الله، ثم لا يضرك بعد ذلك إن كان هناك شيء من الانتفاع بيه في الحياة، وده اللي احنا برضه الملمح الجميل اللي احنا بنقف

[٣] صحيح البخاري





مع هذه القصة، إن مسألة الفرح بشيء من مباحات الدنيا ده شيء مش مذموم على فكرة، بس مش مذموم امتى؟ مش مذموم لما تكون المنهجية الأولى منضبطة؛ إن فكرة أصلًا الانشغال بالحياة وتفاصيلها وماديا‌تها مش هي المسيطرة عليك، منهجك هو أساسًا منهج العبودية لله –سبحانه وتعالى–، فإذا كان هو ده المنهج المسيطر، وده حياتك، وده منهجيتك في التعامل مع الحياة وجزئياتها لا مانع بعد ذلك أن يفرح الإنسان بشيء من أمور الدنيا، يعني هؤلاء الصحابة قالوا كنا نفرح بهذه الوجبة وكنا ننتظر هذه الوجبة من الأسبوع للأسبوع، فهل يا ترى دا بقى يقدح لما كانوا عليه من الصبر والتقلل؟ لأ، عشان كدة شوف الحافظ ابن رجب –رحمه الله– قال: "وفيه أن فرح الفقير بوجود ما يؤكل وتمنيه لذلك غير قادح في فقره ولا مناف لصبره بل ولا رضاه".

يبقى إذا تصحيح المفهوم العام للتعامل مع الدنيا، الدنيا تكون في يد الإنسان لا في قلبه، الدنيا وسيلة وليست بغاية، وسيلة المفروض الإنسان بيستثمر ما لديه من أمور الدنيا لطلب مرضاة الله، فإن كان ده هو المنهج لا يضره بعد ذلك إذا تمتع بشيء من مباحات الحياة، بل ومن المعلوم حتى لو توسع من مباحات الحياة هذا ليس قادحًا، يبقى المفهوم الحقيقي للزهد ليس مقصود منه انعدام التعامل مع الحياة الدنيا، لأ ممكن تتعامل مع الحياة الدنيا وممكن أنت حتى تتمتع بمباحات الحياة الدنيا لكن بشرط؛ بشرط أن يكون هذا مضبوطًا بالمنهجية الأولى ألا وهو: أن الدنيا لا تستولي عليك، ولا يكون قلبك مشتتًا في أودية الدنيا، وأن تكون كل هذه الدنيا في يدك لا في قلبك، أنت المسيطر، أنت المالك، أنت اللي بتنفق، أنت اللي بتوجه هذا المال وليس المال هو من يوجهك، عندها إذا كان هذا المنهج منضبط بإذن الله –تعالى– لن يضرك إذا انتفعت بشيء من مباحات الحياة، هي وقفة منهجية، إعادة توصيف الزهد وإلا فهناك إنسان غني بالمعنى المادي ولديه أموال عظيمة وهو عند الله من الزاهدين وكان هذا هو حال الصحابة –رضوان الله عليهم– لم يكونوا كلهم فقراء، عبد الرحمن بن عوف كان ثريا جدًا، وعلى العكس هناك فقير من الفقراء والدنيا مسيطرة عليه ولا تبارحه أبدًا وتنغص عليه عيشه، فلا منه انتفع بالدنيا ولا بالآخرة نعوذ بالله من الخذلان.

نسأل الله –سبحانه وتعالى– أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، أقول قولي هذا وأستغفر اللَّه العظيم لي ولكم، وإلى لقاء آخر إن شاء اللَّه –تعالى–، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.